# شعرية الأنساق والتشكيل السيرذاتي في رواية خزانة الأسرار لفيصل لحمر

# Poetics of patterns and composition biographical novel in khzanat al'asrar by faycal alahmar


| الدكتور /زكري بحوص* | الباحثة/ دلال حلايمية |
|---|---|
| جامعة -المسيلة -الجزائر | جامعة - خنشلة- |
| zekribahous@hotmail.fr | dalalhalaimia@gmail.com |


تاريخ الوصول: 2021-02-25 تاريخ القبول: 2021-11-06 تاريخ النشر: 2021-05-13


**ملخّص:**

تمثل السيرة الذاتية نوعا من الكتابات الهجينة، والنصوص التي تطرح إشكالات في جنسها ووظائفها ومرجعياتها، ومن نماذجها "خزانة الأسرار"، باعتبارها منتجا مشحونا بأنساق متفاعلة، تصور الماضي والآخر والأنا بأسلوب يتداخل فيه الذاتي بالتاريخي والفردي بالجماعي.

إذ خلق الكاتب جمالية ساهمت في الجمع بين التخييل والواقع، تتحول بتغير البنيات الفكرية والاجتماعية المرتبطة بالذات، وهذا ما يخرجها من بوتقة الكبت والقوالب الاجتماعية النمطية إلى عالم الاستقلالية والوجود في مجالاته المتعددة.


**كلمات مفتاحيّة:** الشعرية؛ السيرة؛ الذات؛ الأنساق.


**Abstract:**

Biography is considered to be a type of hybrid writing and the text which pose problems regarding its example is “the treasury of secret, recognized as a product charged with interacting formats that depicts the past, the other and the ego, in a manner that the subjectivity is intertwined with historical, and the individual with the collective.

As the writer created and to the combination between fiction and reality that transform with the change of intellectual an social structures linked with the self. And this what takes away from the crucible repression and the social stereotype to independent world in its various fields.


**Keywords:** Poetic; Biography; The Self; Systems**.**

* – زكري بحوص.

## 1. مقدّمة:

تداخلت الأجناس الأدبية واختلطت، لتنبثق عنها أنواع جديدة يصعب تحديد مفهومها، وتتمخض عنها مصطلحات مستحدثة (كالنسق، الشعرية، السيرة الذاتية) وغيرها.

والسيرة الذاتية نص إشكالي يتشاكل مع نصوص أخرى في مادته وموضوعه وحدوده، فالإشكال الأول أن الذات الكاتبة هي الموضوع ذاته (الذات المكتوبة)، والإشكال الثاني في تعالقاتها مع التاريخ والمذكرات واليوميات، بالإضافة إلى تداخل ما هو واقعي مع التخيلي، لنجد أنفسنا أمام إشكالات أهمها:

* ما سبب تعدد الأصوات والوسائط في خزانة الأسرار؟

*هل استطاع فيصل الأحمر أن يكتب سيرته الذاتية بالمستوى الجمالي نفسه الذي حرر به مؤلفاته الأخرى؟

*كيف تميزت خزانة الأسرار وانسجمت بأنساق متضادة ومتصارعة؟ وأين تكمن الجمالية في ذلك؟

* إلى أي مدى كان فيصل الأحمر مصورا لذاته وصادقا في نقل الأحداث؟

و"خزانة الأسرار" موضوع بحثنا، تتضمن الكثير من المضمرات، وتتمازج فيها الحقيقة بالخيال والتلميح بالتصريح، تتكاثف فيها الأنساق مشكلة بنى منسجمة ومتصارعة، يتفاعل فيها القارئ والمؤلف والنص وفق بنيات خارجية وأخرى داخلية وأخرى خارجية.

## 2. مفاهيم نظرية:

### 1.2 الشعرية:

يعتبر مفهوم الشعرية (poetic) من أكثر المصطلحات شيوعا في مجال الدراسات الأدبية والنقدية، الحديثة والمعاصرة خاصة منذ بداية القرن العشرين، ويعود أصلها إلى دراسات أرسطو في كتابه "فن الشعر" (فيروز رشام، 2017).

فأرسطو يعرفها بقوله :"محاكاة تتوسم بوسائل ثلاث، قد تجتمع وقد تنفرد، وهي :"الايقاع والانسجام واللغة" (أرسطو طاليس، 1973).

والمحاكاة عنده أتت ردا على مثالية أفلاطون، لتصبح تعبيرا صادقا عن كل جميل، ولا يكون كذلك إلا إذا كان من صناع الشعر.

وللشعرية تعريفات عدة، وهي عموما محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحايثة للأدب بوصفه فنا لفضيا، إنها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبية، فهي إذن تشخص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي (المصدر نفسه، 1973)، كما أنها تواجه مصطلحات مقابلة، مثل: علم الأدب، الجمالية، البيوطيقا، الشاعرية.

أما إذا دققنا الدراسة في الشعرية الحديثة فتعود أصولها إلى الشكلانيين الروس، الذين أولو اهتماما بالغا بالشكل، وقد رافق ذلك تطور النقد في الولايات المتحدة الأمريكية إ.آي ريتشارد، وغيره (فاستون جوف، 2012)، ليهتم بدراستها مجموعة كبيرة من العلماء، مثل: باختين، جوليا كريستيفيا، جون كوهين.

ويعرفها جاكسبون يقوله:

"the poetic function is the projection of the principle if equivalence from the axis of combination" (roman jakobson, 19962-1988).

يرتكز جاكسبون في تعريفه للشعرية على الوظيفة اللغوية التي تجعل من الرسالة (message) أثرا أدبيا في مقولته الشهيرة عام 1919: "ليس موضوع العلم الأدبي هو الأدب، وإنما الأدبية" (لطيف زيتوني، 2002)، أي ما يجعل من عمل معين عملا أدبيا.

وبعبارة أوضح فإنه يجعل موضوع الشعرية قبل كل شيء الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا" (تزفيتان طودوروف، 1987).

ويحدد وظيفتها في الدراسات الحديثة، في قوله:

"Poetics: In modern usage poetics is not the study of, or the techniques of, poetry (verse), but the general theory of literature from the russian formalists, school and french structualist to structuralist and post_structualist writes there has been an appeal for a science of lituralure wich should be devoted not to the piecemal criticism or intrepretation of specific literary texts, but to identifying the general properties wich make literature possible one should study literariness rather than esciting work of "literature" (Petter Childs, Poger Flower, 2014).

فالشعرية ليست دراسة قوانين نظم الشعر، ولكن النظرية العامة، لتحديد الخصائص العامة التي تجعل الأدب ممكنًا، يوجب على المتلقي والناقد دراسة الأدب بدلاً من الهروب منه.

وقد أضاف للعملية التواصلية الثلاثية الشكلانية تعديلا، لتتحول كالآتي:

* مرسل وظيفته التعبيرية..
* رسالة وظيفتها الشعرية/ التأثيرية.
* مرسل إليه وظيفته الإفهامية.
* الشفرة وظيفتها الترميزية/ الما وراء لغوية.
* السياق وظيفته المرجعية.

وبالنسبة لتودوروف، فإنه يعد من أكثر النقاد اهتماما بموضوع الشعرية، ومما ورد في قاموسه الموسوعي عن مصطلح الشعرية أنه يشير إلى العديد من المعاني هي:

1 .كل نظرية داخلية للأدب.

2 . تتجسد في الخيارات التي يقوم بها الكاتب عبر كل الإمكانات الأدبية.

3 . تشير إلى كل الترميزات المعيارية الإجبارية لمدرسة ما (Ducrot et Todorov، 1972).

ومن خلال هذه الدراسة يتبين أن الشعرية مصلح لا يتيسر الإمساك بمفهومه، وهي من الإشكالات التي تعددت منطلقاتها الفكرية وأهدافها التي تصبو إليها في كل نص.

**2.2 السيرة الذاتية:** تعد السيرة الذاتية جنسا أدبيا هجينا، اختلفت مفاهيمه عند الغرب وعند العب، ولم يحدد لها تعريف جامع شامل ومانع، غير أن فيليب لوجون قد وضع حد الميثاق السير ذاتي للتمييز بينها وبين الأجناس الأدبية المتقاطعة معها والمنصهرة ضمنها، أما المعاجم اللغوية والأدبية فقد عرفتها كالآتي:

* معجم تاج العروس: كلمة سيرة مأخوذة من المادة اللغوية سير، وهي السنة والسيرة، وقد سارت سيرتها والسيرة الطريقة، ويقال سار الولي في المدينة سيرة حسنة، بمعنى هيأتها (مرتضى الزبيدي، 1306).

* عند ابن منظور: سار بهم سيرة حسنة، والسيرة الهيأة والمنوال والطريقة، سيّر سيره حدث أحاديث الأولين (ابن منظور، د.ت).

مما نلاحظه تقارب المعاجم المختلفة في مفهوم السيرة، على الأقل اللغوية دلت على الهيأة والمنوال.

وفي المعاجم الأدبية، نجد من التعريفات ما قدمه إبراهيم فتحي في قوله:

"السيرة الذاتية: سرد قصصي يتناول فيه الكاتب نفسه ترجمة حياته الخاصة، ويحاول كاتب السيرة الذاتية أن يعرض حكاية مستمرة لما يعتبره أكثر أحداث حياته أهمية ودلالة" (إبراهيم فتحي، 1986).

ويقدم لها معجم A Glossary Litrary Terms تعريفا:

"Autobiography is a biography written by the subject about himself or Herself" (M.H. Abrams, 1999).

إذن فالمعاجم الأدبية اجتمعت على أن الأديب ذاته هو الكاتب وهو الموضوع، واختلفت في شروط وحدود الكتابة.

وقد أخذت السيرة الذاتية في انجلترا، في بداية القرن التاسع عشر، معنيين متجاورين ومختلفين:

* المعنى الأول: في معجم لاروس (1866) "حياة فرد مكتوبة من طرفه".

* المعنى الثاني: اعتبارها كل نص يبدو أن مؤلفه يعبر فيه عن حياته وإحساساته مهما كانت طبيعة العقد المفتوح من طرف المؤلف، وهذا الذي قصده فابيرو في "المعجم الكوني للأدب"، سنة 1876 (فيليب لوجون، 1994).

ورغم هذا التقارب في المفاهيم إلا أن الاختلاف يبدو في التفاصيل والحدود التي تميزها عن كتابات أخرى تنطبق عليها الشروط والخصائص ذاتها.

والسيرة في محيطها الأدبي الواسع: "نوع أدبي يكون فيه ملتقى الحق الفني بالحق التاريخي، ويراد بها (دراس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته) أو هي نوع أدبي يتناول بالتعريف حياة انسان ما تعريفا يطول أو يقصر" (أحمد بن علي آل مربع، 2010).

إن السيرة الذاتية رحلة لاكتشاف تتردد فيها أصداء الماضي في الحاضر، فالفرد ليس إذن مجرد حالة وجود، بل قوة

واقعة في سبيل التطور، ولا يمكن فهمها إلا عن طريق قصة حياتها (عبد الفتاح وفكوح، 2015)، وهنا تكون الذاكرة في أقوى فاعليتها وإنتاجها للأحداث المرتبطة بالذات، سواء أكانت من داخل الذات أو من خارجها.

ويعتبر الخلود والبقاء، الهدف المشترك بين السير الذاتية، ولكن جورج ماي يعتبره هدفا واهما، في قوله:

"لما كانت الكلمات إذا كتبت رسخت، فإن حياة الإنسان دونت وسلمت من الموت، فكان كاتب السيرة الذاتية يقر بقدرة اللغة على خلق الحياة من جديد، وبالتالي على تخليدها (جورج ماي، 2019).

**3.2 النسق**: اهتمت الدراسات الحديثة، وخاصة النقد الثقافي، بدراسة الأنساق داخل النصوص الأدبية، باعتبارها موطنا لالتقائها وتفاعلها، فما مفهوم النسق؟

النسق عند (م. فوكو) علاقات تستمر وتتحول بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها (سعيد علوش، 1985).

وعند ابن منظور: "النسق من كل شيء ما كان: على طريقة نظام واحد، في عام الأشياء، وقد نسقته تنسيقا"، ويخفف ابن سيده: "نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء، وانتسق هو وتناسق، وانتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت (ابن منظور، د.ت).

نلاحظ اختلاف وتنوع مفهوم النسق في التعريف اللغوي، ونجده كذلك في المعاجم الأدبية، إذ تدل كلمة النسق (système) في المعاجم الأجنبية الحديثة والمعاصرة على مجموعة من العلامات اللسانية والأدبية والثقافية، أو على مجموعة من العناصر والبنيات التي تتفاعل فيما بينها وفق مجموعة من المبادئ والقواعد والمعايير، ويتحدد النسق أيضا بواسطة مكوناته وعناصره وبنياته التي يتضمنها، ومن خلال مختلف التفاعلات التي تقيمها العناصر فيما بينها، وعبر الحدود التي تفصل بين العنصل الذي ينتمي إلى النسق الداخلي، أو الذي ينتمي إلى محيطه الخارجي (جميل حمداوي، د.ت)، فالنسق إذن معروف بوظيفته لا بوجوده منعزلا عن البنيات اللغوية والسياقية الأخرى.

والنسق بالمعنى العام، هو بالتبادل بعضها ببعض، بحيث تشكل كلاً عضوياً مثل: "النظام المدرسي" و"الجهاز العصبي، والنسق بمعناه الخاص، هو مجموعة من أفكار علمية أو فلسفية مترابطة منطقياً من حيث تماسكها لا من حيث حقيقتها" (أندريه لالاند، 1996).

ما سبق يمكن اعتبار الأنساق مجموعة من البنيات المتفاعلة والمتحولة، لها خصائص تميزها ووظائف جمالية وبلاغية، حيث تشتغل هذه الأنساق بوصفها خطاباً ينوب عن المؤلف من حيث قدرتها على تفعيل التأثير اللغوي البلاغي تجاه المتلقي.

**3. جمالية التفاعلات النسقية في خزانة الأسرار:**

تلخص خزانة الأسرار فترة زمنية من حياة فيصل الأحمر، بين أهوائه ومنطلقاته الفكرية والسياسية، تصمت فيه اللغة في محطات وتشتغل الذاكرة على المضمر والإشارات، عبر التلميح وترك الفجوات، يذكر فيها ملابسات الاجتماعي والتاريخي والعاطفي والديني، ويقدم رؤيته دون تصريح، تفاعل فيها الذاكرة مع التوجهات الذاتية للكاتب، وفق خبرة وتجارب واقتناعات، دفعته أصواته الداخلية الصاخبة بواسطة الذاكرة أن يصدر هذه السيرة المبكرة، تلتقي فيها الأزمنة الثلاثة والواقع والخيال.

وقد كان العنوان مركبا اسميا إشاريا، يحمل دلالات عدة: "خزانة الأسرار"، فعن أي خزانة يتحدث؟ وما طبيعتها؟ أهي ذاكرة أم أوراق مكتوبة تم حفظها؟

تحول العنوان من مفتاح لحل ألغاز النص إلى نسق رمزي، ولعبة فنية غير محدودة الدلالات، يتقاطع فيها المرجع الواقعي مع المجاز، استعار فيه دوال واقعية ذات دلالات تخييلية.

ومما يثير الانتباه كتابة مقدمة السيرة الذاتية من طرف زوجته، دون الكتب السابقة، فتذكر:

"أصدر الأستاذ فيصل الأحمر قرابة العشرين كتابا إلى غاية اليوم وقد أبدى استغرابا من أنني لم أخط له أية مقدمة لأي من هذه الكتب الكثيرة، وقد أصر على أن أخط له هذه الأسطر عتبة لكتابه السير ذاتي هذا.

كانت فكرتي أنه ربما يحسن أن يخط هذه المقدمة غيري بسبب قربي من الموضوع، وكوني جزءا من هذه السيرة، ولكنه أصر وسيعرف كل من داخل سيرته الذاتية وخرج آمنا كم أنه غير صلب الرأي متصلب الإرادة"(فيصل الأحمر، 2019).

هل وسيلة مفتاح أسراره، أم خزانة أسراره؟

يشترك النسق العاطفي والاجتماعي في هذا الطلب، في نوع من التوازن بين الأنا والأنت، ربما للقضاء على فكرة تهميش الآخر (الأنثى) كما اعتاد المجتمع الشرقي عادة، فتحولت الزوجة من شريك في الحياة إلى روح تدب في أوصال السرد، تمنح الذات تحفيزا أكبر للبوح.

وتكمل الزوجة قولها:

"أما السر فهو عماد من أعمدة الحياة وليس هنالك أدنى تحد في اللعب على تحدي الصراحة المطلقة، ذهاب الأسرار من العالم يؤدي إلى فساد الحياة التام، فهل مطمع في كتب تفسد الحياة؟ قطعا لا" (المصدر نفسه، 2019).

يعتبر هذا النوع الاعترافات ميثاقا لاستثمار المتخيل الفردي لمفاهيم وجودية، ذات طبيعة استفزازية للقارئ وجذبه نحو ما هو متوقع أو حتى تأويله، هذا المقطع رسالة ضمنية متوجهة إلى شريحة من القراء محددة مسبقا.

ويظهر خرق الميثاق السير الذاتي جليا في قولها:

"فإن الدوافع التي تدفع الرجال إلى كتابة سيرتهم الذاتية متعددة، ولكن الكاتب الفنان يواجه خطر تشويه حقيقة الماضي، والواقع أنه غالبا ما يكون هناك إسقاط الرغبات اللاوعي في طريقة استرجاع الذكريات والتي يمكن تغييرها ببساطة بفعل عمل ذاكرة أكثر أو أقل إخلاصا.

عدم وجود الموضوعية والمسافة الزمنية يمنع أحيانا المواقع المكتوبة من أن يكون انعكاسا للأحداث الماضية وهذا جوهر عمل اللاوعي" (المصدر السابق، 2019).

من خلال هذا الخرق يظهر النسق الثقافي النقدي، والخلفيات المسبقة للكاتبة، التي تعدّ الأنا الثانية في هذه السيرة، حتى لا تمارس عملية التجميد على الذكريات الخاصة للكاتب، فيشعر القارئ بمصداقية المكتوب وجماله في آن واحد.

تواصل الكاتبة كقارئ أول للنص، قولها:

وقد يكون مفيدا أن تستحضر هنا عتبة كتاب فيصل الأحمر الصادر منذ عام تقريبا والمعنون بشكل دال ومثير بـ: "حياة في كتابه"... إذ يقول الكاتب

لا حياة لي خارج الكتب

حياتي الفعلية بلا سعي

أهم ما في حياتي وجدته في كتاب وتحدثت عنه أو خفت عليه من الضياع فوضعته في كتاب" (المصدر السابق، 2019).

بناء على ما سبق يمكن الحكم على هذه التصديرات بأنها مواثيق قراءة، في خطاب للأنا عبر الآخر، فيتحول إلى صوته ومرآته العاكسة لوجوده وتحقق كيانه، وهي مقاطع تفصح عن هوية العمل الأدبي، وتبرز دوافع كتابته.

تبسط هذه الأصوات (الأنا، الزوجة "الأنا" الثانية وجوديا، الكتابة "الأنا" النصية) تشابك الأنا الواقعية مع الأنساق الخارجية المتفاعلة، والتي نعتبرها أنساقا مركزية في هذه السيرة، تدعم عمق الذات ووعيها بغية الوصول إلى الخلود عبر وسيلتين: القارئ والكتابة.

يتولى الكاتب (الذات) السرد، ويذكر:

"أذكر أحلامي الجنسية، أتمنى أن أنساها قليلا ولكنني أذكرها وأشعر بها تذكرني جيدا أو تحدق بي في كل لحظة" (المصدر نفسه، 2019).

يصهر الكاتب التجربة الإنسانية الذاتية في صياغة فنية، لتحقيق تواصل أفضل مع القارئ، وخلق مجال فسيح للثقة حتى يتحول القبيح جميلا، فعبر التلميح بالحلم الذي يشمل العالم الجنسي يجعل الكاتب من حياته الماضية كتابا مفتوحا متحولا حاضرا، يبلغ فيها بالإشارة ما يمكن أن يحصل لأي شاب في عمره.

وبأسلوب تهكمي، يقول:

"الفطر كان عديم المذاق وجورجي زيدان ألهب دماغي الشاب بحكاياته الرائدة" (المصدر السابق، 2019).

على عكس المعتاد فالذات هنا ليست ثمرة عصرها، بقدر ما هي تمثل لذاتها وثقافتها، ولا تعاني تمزقا في الهوية ولا الأهداف، لكنها تخلق نسقا مضادا للواقع المفروض، فتحيا حريتها مرتين: مرة عن طريق الرفض الفكري والواقعي، ومرة عن طريق الكتابة التي تمثل دور الوسيط بيننا وبين الذات.

يستمر فيصل الأحمر في تمرير آرائه وانطباعاته:

"حسبت أن هنالك مشكلا في ذوقي، والظاهرة أنه كان مشكلا في الثقافة، الرقي ارتبط في ذهني دوما بفكرة ان من يأكل وله فضلة أكل في بيته بعد أن يشبع، يكون قد تسبب في عدم شبع شخص ما، سينام ولم يكف رزقه حاجاته" (المصدر نفسه، 2019).

إن الوعي الكامن للذات ببنياتها الثقافية والفكرية السابقة تنطلق في تمييز ذاتها باستمرار:

"اذكر رائحة الحرائق في الريف وفي المدينة، حرائق بقايا الزيتون بعد نهابة موسم الجني والعصر، حرائق المزابل، القش القلوب، الآمال، الأوراق، الكبريت، أعواد الثقاب، الآفاق، السمعة، الأوراق الرابحة على الطاولة، المسافات الأعصاب، الشمس الصيفية، الأنامل الفضولية، حريق جهازي الالكتروني، صامت ونهائي كالموت، حريق اللحم المشوي، حريق القدر المسكينة التي تكون صاحبتها سيدة بيت مكتظة الصبحة، مريق ذبابة هربت من زجاجة واجتنبتها أنوار المصباح البترولي في البيت الريفي" (المصدر نفسه، 2019).

يتفحص فيصل الأحمر حاضره من خلال التغييرات الحاصلة، ويحول الأنا من حضورها الآني إلى عين تصور المشاهد وتنقل إشارات من الماضي تحيل إلى رؤى مستقبلية، فيقف المتلقي على أبرز المراحل الاجتماعية والتاريخية، عن طريق هذه الإشارات المقتضبة، بحسها النقدي، وما هي إلا نصوص ظاهرة تخفي تاريخا وتصور من منطلقه الحاضر المعيش.

يكسر الكاتب أفق توقعنا، بتصريحه:

"أذكر شعوري الغريب بالحزن إزاء كل شيء جميل قابلني، أذكر قراءتي الدقيقة في عيون النساء ومعرفتي للتي تعاني العزلة، للتي هي مشتاقة للأمان .. للحاقدة .. للغيورة ولكل واحدة جذبها شيء ما فيّ أنا" (المصدر السابق، 2019).

يبحث الإنسان عادة عن الجمال الذي هو جزء من بواعث السعادة، ولكن الكاتب في هذا المقطع يرسم صورة عاطفية ونفسية اتجاه الجنس الآخر، مع وجود تناقض بين نسق الانطباع الجمالي والمرأة والذات، في معايشة لما هو كائن في المجتمع، تحطيم كل ما هو جميل.

وفي نوع من السمو بالمشاعر، والصدق في التجربة، يصف فيصل الأحمر انقلاب مفاهيمه وعواطفه اتجاه من سراها رمزا للجمال الأنثوي، والارتباط:

"أذكر ولعي بالشقراوات ذوات العيون الخضراء (أو الزرقاء من باب التساهل .. حال أحلام حبيبة الماضي الجميل) وها إنني متزوج بسمراء قمحية البشرة، داكنة العينين والشعر، أحب ما أحبه فيها عيونها وهي تنغلق

حينما تضحك، وذراعها حينما يحيطان بي فأنسى أن في العالم شيئا اسمه شقراوات، وأن لهن عيون أصلا" (المصدر السابق، 2019).

تبدو الأفكار كائنا طيعا ينسجم وتحولات الذات، وهي قدرة تتميز بها الذات الكاتبة على الهدم والبناء في آن واحد، خاصة عبر الفراغات التي يتركها في ذهن القارئ عن الأسباب التي دفعته إلى تغيير مبادئه وتصوراته، ولا نظن أن المعنى المقصود سيظهر بفعل القراءة، لنعايش ثقافة نصية وعاطفية واجتماعية مفتوحة المعاني، لينتقل من الأحكام المسبقة إلى العاطفة الصادقة، في مناخ يجمع بين ما كان وما هو كائن، وهنا تتغير وتتحول الأنساق لتحقق متعة القراءة والتأويل.

ثم لا يتجاوز فيصل الأحمر بذاكرته الدين والتاريخ والأيديولوجيا، في نظرته للصلاة وقت الثورة:

"لم تكن الصلاة حينها عادة مستحكمة في الناس ولكن جبهة التحرير الوطني قد قررت أن تحول الجميع إلى مصلين كوجه من وجوه المقاومة" (المصدر نفسه، 2019).

يتربع النسقان الأيديولوجي والديني على عرش هذا المقطع السردي، مشحونان بالكثير من الاعتراض والرفض العنيف لفكرة توجيه العقائد وفرضها، فما هو عقدي لا يجوز فيه الإجبار مهما كانت الأهداف، وهذه الفكرة البراغماتية "الغاية تبرر الوسيلة" قيدت الحريات في زمن البحث عن الحرية، يكسر من خلالها الكاتب النظرة الملائكية والساذجة لما هو تاريخي.

ثم يواصل:

"لم تكن الثورة عظيمة في الوجدان مثلما هي عظيمة كحدث تاريخي، ولكنها سيتم تعظيمها في الواقع البديل" (المصدر السابق، 2019).

لا يهاجم الكاتب التاريخ ولكنه يرد بكتابة تاريخ مضاد، في ما يمكن الاصطلاح عليه بالانزلاق المفاهيمي للتاريخ، وهذا النسق الأيديولوجي لا يتطلب توافقا بين المؤلف والقارئ، بقدر ما يحمل قوة تأثيرية في ذهنه، لتشويش أفكاره وزعزعة مسلماته، ودفعه لإعادة قراءة التاريخ.

يبدو تصالح الذات مع ذاتها، ومع مخزونها الثقافي في قول فيصل الأحمر:

"وهبني الخيال العلمي أشياء جميلة، وهبني إمكانية الهروب من العالم المحيط الراكد الثقيل، وهو الشيء الذي أعلنني على أن لا أدخن أية سيجارة منذ ولدت" (المصدر نفسه، 2019).

يوجه الكاتب رسالة نحو شريحة بعينها من القراء، المتعلمين المدخنين، بنوع من الرفض المقنع بأسلوب منمق، فالخلفية العلمية للعقل تفرض على صاحبها اتخاذ سبل البقاء حيا ومعافى، يتسلل من خلال هذا الاعتراف دون تعصب إلى المتلقي بنوع من التوجيه، ربما لمعرفته أن النصح المباشر إطار ضيق لا يشتغل على الوعي عنده، ليكون نسق الثقافة البناءة منطلقا مبطنا، يقيم حوارية مع القارئ تتقاطع فيها منطلقات القناعة العلمية عند الكاتب وتوقعات متلقيه، ليتحول الكاتب والقارئ والنص إلى كيان واحد منسجم المرتكزات.

## 4. خاتمة:

وخلاصة القول أن السيرة الذاتية "خزانة الأسرار" جنس أدبي يجمع بين البوح والاعتراف، ويمكن أن يتحول إلى قناع تستتر خلفه حقائق تاريخية وواقعية، يجمع فيها الصدق والخيال.

استلمت فيها الذات الثانية صدارة الكتابة كان فبيها التلميح تصريحا، والتاريخ مستقبلا في رحاب العيش عبر الكتابة، واستغلال الثقافة السابقة في الرؤى الحاضرة، وتحويل سيرته وسيطا ثقافيا ومعرفيا بين الأجيال، مشحون بالرسائل المشفرة، والإيماءات التي تصور الحياة بمشاهدها العاطفية والأيدولوجية والتاريخية والسياسية، التي تتغير فيها عبر البنيات والغايات.

كانت فيها الأنا والنص والأنا الثانية (وسيلة) مفاتيح تحمل ألغازا يترك للقارئ تعدد تأويلاتها بأسلوب متميز غير نمطي.

## 5. قائمة المراجع:


1. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، (تونس، 1986).
2. ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
3. أحمد بن علي آل مربع، السيرة الذاتية، مقاربة الحد المفهوم، (تونس، دار صامد للنشر، 2010).
4. أرسطو طاليس، فن الشعر تر. عبد الرحمن بدوي، (بيروت، دار الثقافة، 1973).
5. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل احمد خليل، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1996).
6. تزفيتان طودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، (الدار البيضاء، دار توبقال، 1987).
7. جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة، نظرية الأنساق المتعددة، (www.alukah.net.).
8. جورج ماي، السيرة الذاتية، تر. محمد القاضي– عبد الله صولة، (رؤية القاهرة، للنشر والتوزيع، 2019).
9. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، (الدار البيضاء، سوشبريس، 1985).
10. عبد الفتاح وفكوح، أدب السيرة الذاتية، إضاءات وإضافات، (عمان دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2015).
11. فاستون جوف، شعرية الرواية، تر. لحسن أحمامة، (دمشق، دار التكوين، 2012).

12. فيروز رشام، شعرية الأجناس الأدبية في الأدب العربي، دراسة أجناسية لأدب نزار قباني، (عمان فضاءات للنشر والتوزيع، 2017).

13. فيصل الأحمر، خزانة الأسرار، (سطيف، الماهر للطباعة والنشر، ، الجزائر، 2019).

14. فيليب لوجون، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، تر. عمر حلي، (بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994).

15. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، (لبنان، دار النهار للنشر، 2002).

16. مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، م1، ط1، (بيروت، مكتبة الحياة، ، 1306هـ)، مادة سير.

17. Ducrot et Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, (Paris, Saint-Amand, 1972).

18. M.H. Abrams, a glossary litrary terms, (Australia Canada Mexico Singapore United Kingdom United States, 1999).

19. Petter Childs, Poger Flower, The Putledge Dictionary Of Letery Terms, (USA, 2012).

20. Roman Jakobson, (Selected Writings, 1962-1988, Vol.3, p 8). .